ميميّة

السّيّد جعفر الحلّي الحسينيّة؛ دراسة صوتيةٌ

رضا عرب البافراني السيد جعفر العلوي

الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية، مشهد المقدّسة

Arabbafrani.135@gmail.com

رابط الكتاب: https://doi.org/10.62745/muhaqqiq.v9i24.324

الملخص

هناكَ صلةٌ وثيقةٌ بين الشعر والموسيقى، وهي من أهمّ عناصر تكوين الشعر، وتعـدّ عنصرًا مُهمًّا في إعداد البنية الشـعرية؛ فهي سرّ جمال الشـعر، ومظهر تميّزه عن سـائر فُنُون القول، فالموسـيقى عاملٌ كبيرٌ من عوامل التأثير في نَفْسِ القارئ والسـامع، ذلـك التأثير الذي يُعَـدُّ أهمّ الغايـات التي يرمي إليها الفـنّ الأدبي، ويسعى الأديب ما وسعه السعي في سبيل تحقيقها.

والذي يهمّنا في هذا البحث بعد أن نبيِّنَ بشيء من الإيجاز حياة السَّـيِّد جعفر الحلّي وهو أحد شـعراء الحلّة الفيحاء، أن نسـلّط الضوء على البنية الموسـيقية في ميميّته الشـهيرة. وقد أتبعنا المنهج الوصفي-التحليلي مستعينًا بدراسة إحصائية للمظاهر الموسيقيّة في هذه القصيدة.

الكلمات المفتاحيّة:

السّيّد جعفر الحلّي، القصيدة الميميّة، دراسة موسيقيّة.

The Mimiyah of Sayyid Ja'far Al-Hilli Al-Husayni: A Phonetic Study

Reza Arab Al-Bafrani
Al-Razavi University of Islamic Sciences, Holy Mashhad
Arabbafrani.135@gmail.com

Abstract

There is a strong and intrinsic connection between poetry and music, one of the most essential elements in the composition of poetry. Music is a key component in shaping the poetic structure, representing the secret of poetry's beauty and distinguishing it from other forms of expression. It serves as a significant factor in influencing the reader or listener, an effect that constitutes one of the primary objectives of literary art—an aim poets strive tirelessly to achieve.

This research focuses on the musical structure of Sayyid Ja'far Al-Hilli's renowned Mimiyah after briefly outlining his biography as one of the celebrated poets of Al-Hillah. Employing a descriptive-analytical approach and supported by statistical analysis, this study highlights the musical features present in this iconic poem.

Keywords:

Sayyid Ja'far Al-Hilli, Mimiyah Poem, Musical Analysis.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

إنّ الشعر ديوان العرب، وهو إحساس بشعور الإنسان، وله صلة به[١]، وبمشاعره، فتذوّق الشعر لا ينحصر في حدود الزمان والمكان. فالشعر عظيم، وصناعته مهارة متميزة. فمن أهمّ عناصره ومن أبرزها هي الموسيقى التي تُعدّ من السمات المميزة للشعر، فلا يكتمل بدونها، شأنها في ذلك شأن الألوان في الصورة[٢]؛ لأنّ الشاعر لا يستغني عنها أبدًا، فهي إلى جانب الأثر الذي تتركه في المتلقّي، فإنّها تسهم بطريقة مباشرة وفعالة في نقل المشاعر والانفعالات التي قد لا تتمكن الألفاظ والمعاني من التعبير عنها بصورة متكاملة[٣].

حياة الشاعر

إنّ الحلّة الفيحاء مدينة حافلة بأرقى العلوم وأروع الآداب، وهي نجم لامع في سماء العلم والأدب. فقد خرّجت هذه المدينة عددًا كبيرًا من العلماء مثل: العلامة الحلّي، والمحقق الحلّي، وابن نما، و.. والأدباء والشعراء مثل: صفي الدين الحلّي، والسيد حيدر الحلّي، والسيد جعفر الحلّي، وغيرهم.

يقول عبدالمنعم الفرطوسي:

للحلّة الفيحاء مجد حافل
بالعلم والآداب في مضمارِ
هي تربة كم أنبتت من (صالح)
فذّ ومن (علامة) قهّارِ[٤]
أضفى (صفي الدين)[٥] فوق سمائها
في هالةٍ من شعره المِوارِ

و(لحيــدر) أفق بهــا و(لجعفر)[٦]

ولداتــه أفــق مــن الأقمــار

فإنّ السّـيّد جعفر الحلّيّ يعدّ واحدًا من شـعراء القرن التاسـع عشر، ممّن يمثّل الاتّجاهـات الفنّيّة والموضوعيّة في شـعره إبـان تلك الحقبة؛ فقد عـرض كثيرًا من الأغـراض الشـعرية المعروفـة قديـماً في قصائده. فلذلـك تطرّقنا إلـى البحث في قسـمين: في القسـم الأوّل بيّنا حياة الشـاعر العلمية والأدبية، و في الثاني قد بحثنا عن الموسيقى في ميميّة السّيّد جعفر الحلّي، ودرسنا هذا القسم في مبحثين:

الأوّل: الموسـيقى الداخليـة المتمثّلـة بخصائص الأصوات وأثرها في تشـكيل الموسيقى الداخلية لشعر الشاعر.

والثاني : الموسيقى الخارجية المتمثّلة بالوزن والقافية.

القسم الأول؛ حياة الشاعر العلمية والأدبية

اسمه ونسبه :

هـو السـيّد أبو يحيى جعفـر ابن أبي الحسـين محمد بن محمد حسـن ابن أبي محمد عيسـى بن كامل بن منصور بن كمال الدين بن منصور. ويرجع نسبه إلى السيّد زيد الشهيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. فهو المعروف بالسيّد جعفر الحلي[٧].

ولادته :

إنّه وُلِد في النصف من شـهر شـعبان المعظم عام ١٢٧٧هـ بقرية السادة من قرى الحلة[٨].

من أساتذته :

قد تتلمذ على أيدي مجموعة من الأساتذة الأفاضل[٩]، فقد قرأ على:

١- الشيخ عباس كاشف الغطاء[١٠].

٢- الميرزا حسين ابن ميرزا خليل الطهراني[١١].

٣- الشيخ محمد طه نجف[١٢].

٤- الشيخ محمد الشربياني[١٣].

من تلامذته

قد قرأ عليه كثير من العلماء، منهم:

- الشيخ أبي محمدرضا النجفي الأصفهاني؛ صاحب كتاب «وقاية الأذهان»، فإنّه قد تخرّج في الأدب والشعر على شاعر عصره الشهير السيد جعفر الحلي[١٤].

- الشيخ أبوالمجد الآقا رضا ابن الشيخ محمد حسين ابن الشيخ محمد باقر ابن الشيخ محمد تقي صاحب حاشية المعالم الأصفهاني النجفي، فهو قد تعلّم الشعر وعلوم الأدب بمعاشرة السيد جعفر الحلي[١٥].

وفاته :

توفي السيد جعفر الحلّي في ٢٣ من شهر شعبان سنة ١٣١٥هـ ، وكان عمره ٣٧ عامًا، فهو لم يكمل العقد الرابع من عمره الشريف ، ودفن في وادي السلام عند قبر والده على مقربة من مقام المهدي عجل الله فرجه الشريف[١٦].

من أحواله :

إن السيّد جعفر نشأ في مسقط رأسه ، ومن ثمّ هاجر إلى النجف الأشرف، فدرس مقدمات العلوم الدينية ، واتصل بجماعة من الشعراء . وكان من

نوابغ شعراء العراق؛ مدح ورثى أهل البيت: في كثير من قصائده، كما مدح السلاطين والعلماء وما دونهم . له ديوان شعر جمعه أخوه بعد موته وسمّاه: «سحر بابل وسجع البلابل» أو «تراجم الأعيان والأفاضل».

أقوال العلماء في حقّه :

فكلّ من يذكره أجمع على علوّ منزلته ورفعة مكانته:

١ - قال عنه السيّد محسن الأمين في كتابه «أعيان الشيعة»: «كان فاضلًا مشاركًا في العلوم الآلية والدينية أديبا محاضرا شاعرا قوي البديهة حسن العشرة رقيق القشرة صافي السريرة حسن السيرة ... » [١٧].

٢ - قال عنه الشاكري في كتابه «علي في الكتاب والسنة والأدب»: «شاعر فاضل أديب» [١٨].

٣ - يقول عنه صاحب كتاب «معارف الرجال» الشيخ محمد حرزالدين: هو «ذو الفضل الواسع والعلم الغزير، شاعر مشهور، حسن النظم والنثر، سريع البديهة، جيّد المدخل والمخرج، له نكات أدبية وشعر رقيق عذب، وقد جمع الكثير من شعره بعد وفاته وصار ديوانًا وطبع سنة ١٣٣١هـ وفيه تواريخ حسنة، وقد مدح الكثير من أمراء عصره وعلماء وذوي الوجاهة، ورثى الإمام الحسين عليه السلام والعلماء والأدباء، ومدح السلطان عبد الحميد، ومدح الأمير (محمد آل رشيد). وأجازه من بعده على مدحه» [١٩].

نوادر حياته

- يقول صاحب كتاب «أدب الطّفّ»؛ جواد شبّر، نقلًا عن الشيخ محمد السماوي: قال: أخبرني السيد الشريف العلامة السيد حسين بن معزّ الدين السيد مهدي القزويني رحمه الله، قال: رأيت الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام ذات ليلة مباركة من ليالي رجب سنة ١٣١٢هـ جالسًا في

مقبرة والـدي بالنجف على الكرسي، ووالدي بين يديـه متأدب أمامه، وكأنّ المقبرة روضة متّسعة. فسلّمتُ وأردتُ تقبيل يد الإمام، فقال أبي: امدحه أوّلًا ثمّ قبّل يده. فأنشدته:

أبـا حسـن أنـت عـين الإلـه
فهـل عنـك تعـزب مـن خافيـه
وأنـت مديـر رحـى الكائنـات
وإن شـئت تسـفع بالناصيـه
وأنـت الـذي أمم الأنبيـاء
لديـك إذا حشـرت جائيـه
فمـن بـك قـد تمّ إيمانـه
يـسـاق جـنّـة عـاليـه
وأمّـا الذيـن تولّـوا سـواك
يسـاقون دعًّـا إلـى الهاويـة

قال: فتبسم عليه السلام. وقال لي أبي: أحسنتَ، فدنوتُ منه وقبّلتُ يديه، وانتبهتُ وأنـا أحفظ الأبيات. ولما أصبحتُ حـضر المجلس على العادة جماعةٌ من فضلاء الأدباء. فذكرت ما رأيت وقلت:

مـن كـان يـهـوى قلبه
ثانـي أصحـاب الكسـا
فـلـيـنـتـدب لمـدحـه
مـشـطـرًا مـخـمـسـا

فانتدب جماعة للتشـطير والتخميس، فممّن شطّر الشاعر السيد جعفر الحلي فقال في التشطير ـ وهذا مما لم ينشر في ديوانه- :

أبـا حسـن أنـت عـين الإلـه
علـى الخلـق والأذن الواعيـه
تراهـم وتسـمع نجواهـم
فهـل عنـك تعـزب مـن خافيـه
وأنـت مديـر رحـى الكائنـات
وقطـبٌ لأفلاكهـا الجاريـه
فإن شـئت تشـفع يوم الحساب....
وإن شـئت تسـفع بالناصيـه

ثم خمس الأصل والتشطير فقال : - وهذا مما لم ينشر في ديوانه أيضًا-:

بـراك المهيمن إذ لا سـواه
وبـيّن باسـمك معنـى عـلاه
فكنـت تـرى الغيب لا باشـتباه
أبـا حسـن أنـت عـين الالـه
على الخلق والأذن الواعية
تـرى النـاس طـرًّا وترعاهـم
وأقصـى الـورى منـك أدناهـم
ومـهـمـا أسـروا خفاياهم
تراهـم وتسـمع نجواهـم
فهل عنك تعزب من خافيه...

- ومـن نـوادر حياتـه ما ذكره صاحـب أعيان الشـيعة عند ذكـر إبراهيم الطباطبائي النجفي، فيقول:

«في محفل من الأدباء فيهم السيد جعفر الحلّي فطلب السيد جعفر جيكارة من

بعض الجالسين وقال معرّضًا بالمترجم:

ألا مـــن يـقـتـل الـبـق

فـــــإنّ الـــبـــق آذانـــــي

إذا طـنـطـن فـــي الجـــوّ

يـــصـــمّ الـــصـــوت آذانـــــي

ففطن لذلك المترجم وقطع الإنشاد وقال:

فـــقـــل زمـــجـــرة الـلـيـث

بـــهـــا وقـــــــر آذانـــــــي

ودع طـنـطـنـة الـبـق

لـكـابـي الـشـعـر خـزيـان

وقبض على يد السيد جعفر وأراد صفعه فارتجل السيد جعفر معتذرًا:

رأيـت إبراهيـم رؤيًـا بهـا

أضحـى كإسـماعيلها جعفـر

هـا أنـذا جئتـك مستسـلمًا

يـا أبـت افعـل بـي مـا تؤمـر

فضحك لحسن اعتذاره وسُرِّيَ عنه»[٢١].

أغراضه الشعرية

قـد احتوى ديوان السّيّد جعفر الحـلّي على الأغراض الشـعرية المعروفة وهي عبارة عن:

١- المديـح والتهـاني. ٢- الرثـاء. ٣- الغـزل والنسـيب. ٤- التقريـض والحكـم والأوصاف والأغراض الخاصة. ٥- المكاتبة والمراسـلة. ٦- العتاب والاعتذار والمزاح . ٧- التاريخ .

خصائص شعره :

لقد قرض السّـيّد جعفرٌ الشـعرَ وبرع في نظمه وهـو دون الثلاثين من عمره، وأصبح من الشعراء المعدودين الذين تلهج الألسن بذكرهم[٢٢]، فإن قرأت شعره تره محلّقًا في أنواع ضروب الشـعر، سـبّاقًا إلى أن يخترق معانيه، ومثالًا لمصداقه لا سيّما في مراثيه. والقارىء لشعره يرى قوة عاطفته وصدق احساسه وشدّة انفعاله، كـما يجده علـى جانب كبير من سـعة الخيال، وعمـق التفكر، وجـودة التصاوير، وبلاغـة التعابير. كـما أن البعض يعتقد بأنّه يزاحم السـيد حيدر الحلّي في الشـهرة والشاعرية[٢٣].

القسم الثاني: الموسيقى في ميمية السّيّد الحسينيّة

دراسة القصيدة

إنّ مجزرة كربلاء وما حلّ بأهل بيت النبي ﷺ تعدّ دافعًا قويًّا للشعراء؛ إذ «لم تحظ ملحمة إنسانية في التأريخين؛ القديم والحديث، بمثل ما حظيت به ملحمة الاستشهاد في كربلاء من إعجاب ودرس وتعاطف، فقد كانت حركة على مستوى الحدث الوجداني الأكبر لأمَّة الإسلام، بتشكيلها المنعطف الروحي الخطير الأثر في مسيرة العقيدة الإسلامية ، التي لولاها لكان الإسلام مذهبًا باهتًا يركن في ظاهر الرؤوس، لا عقيدة راسخة في أعماق الصدور، وإيمانًا يترع في وجدان كلِّ مسلم»[٢٤]. فقد أكثر الشعراء من قرض كثير من القصائد التي تسيل العبرات، وتذيب القلوب، وتفتّت الأكباد. فهذه القصائد صدى لتلك الدماء التي سفكت بغير حساب والأشلاء التي تناثرت وتركت على أرض عرىً بلا كفن ولا دفن. وقد كثر الشعر في رثاء هذه الأسرة الكريمة -وهم أهل بيت الرسول- كثرة هائلة، وكلّه صادر من أعماق النفوس، منبعث من قرارة القلوب[٢٥]. فمن هؤلاء الشعراء الموالين لأهل بيت النبي هو السّيّد جعفر الحلّي الذي نظم أبياتًا كثيرة بصدق العاطفة في مدحهم ورثائهم، ومن جملة ما نظمه قصيدة معروفة بالميمية.

فهذه القصيدة العصماء من أجود قصائد السيد جعفر الحلّي الحسينية ومن أشهرها، فهي أشهر من الشمس في رابعة النهار. فقد نظمها بساعتين في شهر المحرّم، فلا تسمع إلا ناعيًا وناعية ونادبًا لسيد الشهداء ونادبة. ففيها يصف الشاعر بطولة أبي الفضل العبّاس عليه السلام؛ حامل راية الحسين عليه السلام وحامي الظعينة، ويصف حال الحسين وغربته ، وتشريده من مكان إلى آخر. فمن جملة أبيات القصيدة:

وَجــهُ الصَّبــاح علــيَّ لَيــلٌ مُظلمُ
وَربيــعُ أَيامــي عَلــيَّ مُحــرَّمُ
وَاللَيــلُ يَشــهدُ لــي بِأَنّي ســاهر
مُذ طابَ لِلنــاس الرُّقــادُ وَهَوَّمُوا
بــي قَرحــةٌ لَــوْ أَنَّهــا بِيَلملــمٍ
نَسَــفَت جَوانبــه وَســاخَ يَلملــمُ
قَلِقًــا تُقَلِّبُنِــي الهُمــومُ بِمضجعي
وَيَغــورُ فِكــري فِي الزَّمــانِ وَيُتهِمُ
مَن لي بِيَــومٍ وَغىً يَشُــبُّ ضَرامُهُ
وَيَشــيبُ فَــودُ الطِّفلِ مِنــهُ فَيَهرمُ

البنية الموسيقيّة للقصيدة

هناك صلة وثيقة بين الشعر والموسيقى، وقد أشار كبار العلماء قديماً إلى هذا الأمر، فيقول الجاحظ (٢٥٥هـ): «العرب تقطع الألحان الموزونة على الأشعار الموزونة؛ فتضع موزونًا على موزون»[٢٦]. فالوزن هو الأساس الرئيس الذي يحفظ حلاوة الشعر وعذوبته، فإن «عُدل به عنه مجّته الأسماعُ وفسد على الذوق»[٢٧].

تعدّ الموسيقى عنصرًا مُهمًّا في إعداد البنية الشعرية؛ فهي سرّ جمال الشعر، ومظهر تميّزه عن سائر فنون القول، و «قد قيل.. لا شيء أسبقُ إلى الأسماع، وأوقع في القلوب، وأبقى على الليالي والأيّام من مثلٍ سائر، وشعرٍ نادر»[٢٨]. وقد عرّف القدامى الشعر بأنّه «كلام موزون مقفّى يدلّ على معنى»[٢٩]. فالموسيقى «عامل كبير من عوامل التأثير في نفس القارئ والسامع، ذلك التأثير الذي يعدّ أهمّ الغايات التي يرمي إليها الفنّ الأدبي، ويسعى الأديب ما وسعه السعي في سبيل تحقيقها»[٣٠].

فأما الموسيقى الشعرية فلها مظهران: خارجي ينحصر في الوزن والقافية، وداخلي تحكمه قيم صوتية باطنية.

تتألف ديوان السيد جعفر الحلّي من ٢٢٤ قصيدة، مجموع أبياتها ٦٣٢٨ بيتًا، وتُؤلِّفُ مدائح أهل البيت عليهم السلام ومراثيهم في ديوانه ١٩ قصيدة، مجموع أبياتها ٩٠٨. فهذه المدائح والمراثي تحتلّ نسبة ١٤,٣٤٪ من قصائد السيد جعفر الحلّي. ويتألف مجموع ما كتب السّيّد جعفر الحلي من قصائد الرثاء من (١١) قصيدةً مجموع أبياتها (٤٨٨) بيتًا، وهذه القصائد هي قمَّة إبداع الشاعر وسبب شهرته لذلك هي جديرة بالبحث والدراسة للكشف عن بعض خفايا الإبداع .

وقد نظم السّيّد أشعاره في عشرة أبحر من البحور المعروفة، فنلاحظ في التالي جدول إحصائيات البحور المستعملة في ديوانه، وأظهرت إحصائية البحور المستعملة في المدائح والمراثي الخاصة بأهل البيت عليهم السلام أنّ الشاعر قد استعمل سبعة أبحر من هذه البحور العشرة لهذا الغرض في ١٩ قصيدة، فالنسبة المئوية لهذه الإحصائية تأتي:

النسبة المئوية للبحور المستعملة في ديوان السيد جعفر الحلّي

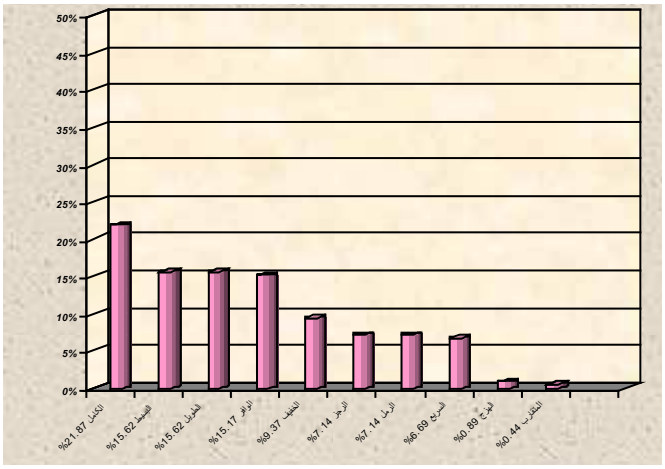

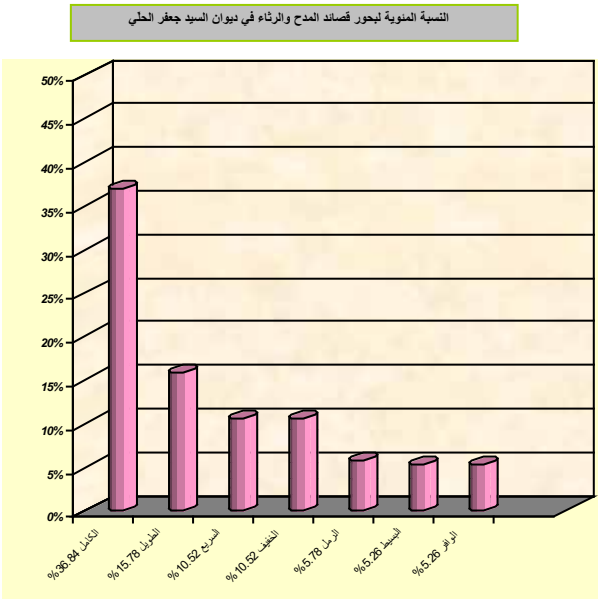

المئوية لبحور قصائد الرثاء في ديوان السيد جعفر الحلّي

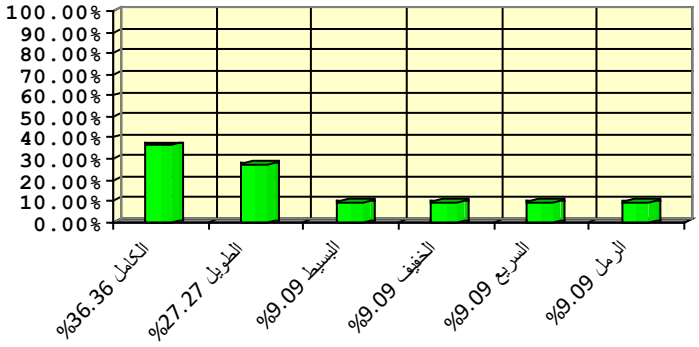

إذا لاحظنا إحصائيّة الأوزان في مراثي السيد جعفر الحلي رأينا بوضوح أنّ وزن (الكامل) يَفُوقُ الأوزان الأخرى بنسبة ٣٦,٣٦٪. وهذه الغلبة تشير إلى وجود علاقة بين هذا البحر وبين الموضوع المستعمل فيه؛ ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى كون الشاعر ميّالًا بطبيعته النفسية إلى البحر ذي التفعيلات المتعددة الذي يتيح له أن يطيل النفس، وأن يعبّر عمّا يجول في داخله من خلجات وأفكار بإزاء الموضوع المقصود، ومن هنا فإنّ «هناك علاقة بين حدّة الانفعالات وحرارتها وطول نفس الشاعر في القصيدة وعلى هذا فإنّ الأوزان الطويلة.. أكثر ملاءمة للانفعالات الهادئة التي يكون الحزن فيها قد تجاوز مرحلة الألم والانفعال الحادّين إلى انفعال هادئ يسيطر عليه الصبر والإيمان بحتمية الموت مع حرارة اللوعة ويأس الفقدان..»[٣١] وممّا يؤكد ذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين من أنّ الرثاء في الجاهلية والإسلام كان يدور في أوزان خاصّة تتكرّر بينهم ومنها الكامل[٣٢].

ولو أمعنا النظر في طبيعة هذا الوزن لرأيناه متلائمًا مع طبيعة القصيدة الرثائية. فهذا البحر (الكامل) الذي تصدّر مراثي السيد جعفر استغلّ فيه الشاعر تفعيلاته المنتظمة والموحّدة في عملية التنفيس عن حاله المتألّمة وإشاعة إيقاع الحزن داخل القصيدة، وتوفير النغم الموسيقائية التي تتلاءم مع حالته النفسية الحزينة؛ وذلك لانسجام هذا البحر مع العاطفة القوية النشاط والحركة[٣٣]؛ وذلك لكثرة حركاته، فبيته يشتمل على ثلاثين حركة[٣٤]، فيبدو أن كثرة الحركات في تفعيلاته جعلته بحرًا سهلًا يستطيع الشاعر من خلاله أن يعبّر عن خلجات نفسه الحزينة بيسر وسهولة ومن دون تعقيد، فضلًا عن ذلك كثرة الحركات كانت سببًا في سعة الزمان داخل الوزن الشعري، وهذه المسألة تمنح الشاعر متنفّسًا ليبثّ أحزانه بسهولة ولوعة متوقّدة. فقد اختار الشاعر هذا البحر لما فيه من موسيقى تنسجم مع نفوسهم الثائرة وعواطفهم المتوهّجة، فهو بحر طويل النفس، وبإمكانه أن

يتّسع لكلّ ما يقوله الشاعر.

فنرى أنّ الشاعر كان موفّقًا في اختياره هذا البحر؛ لأنّ موضوع قصيدته هو الرثاء، والرثاء يتناسب مع البحور الممتدّة والطويلة مثل الكامل، والامتداد والطول يتّفق مع شدّة الحزن[٣٥].

الجهر والهمس في أصوات القصيدة

إنّ الصوت المجهور هو الذي تهتزّ الأوتار الصوتية حين النطق به، والمهموس هو عكس الجهر. فالصوت المهموس هو الذي لا تهتزّ الأوتار الصوتية حين النطق به. فالأصوات المجهورة في اللغة العربية هي ثلاثة عشر: «ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن»، ويضاف إليها كلّ أصوات اللين بما فيها الواو والياء. والأصوات المهموسة هي اثناعشر: «ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك هـ»[٣٦].

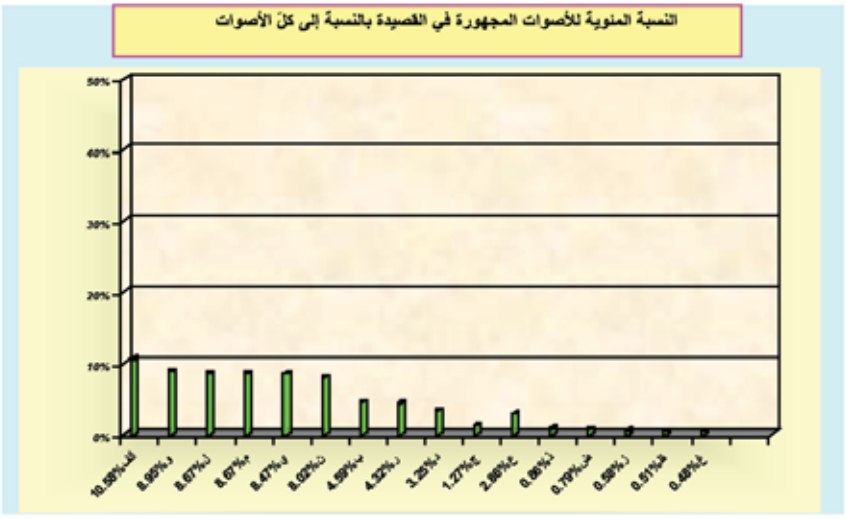

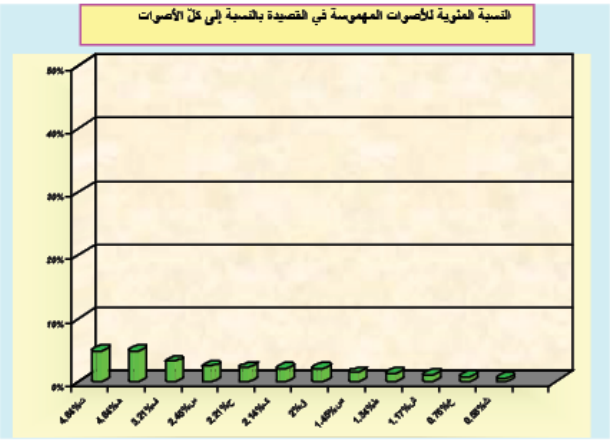

ومن خلال إحصائية الأصوات المجهورة والمهموسة نلاحظ أن الأصوات المجهورة (٢١١٠أصوات) وُظّفت في القصيدة بنسبة: ٧٢,٩٥٪، بينما الأصوات المهموسة (٨٧٢صوتًا) وظّفت بنسبة: ٢٧,٠٤٪. وهذا الأمر لم يأتِ من المصادفة، بل هناك أسباب تجعل الشاعر يتّجه نحو الأصوات المجهورة، ويبدو أن السبب الرئيس في هذا التوجه يرجع إلى طبيعة الموضوع (الرثاء)، فلمّا كان الموضوع شجيًّا ومؤلمًا، به مفاصل التحسّر والأسف والتوجّع كان الصوت حاضرًا، وهذا أمر طبيعي إذ كيف يستطيع المرء أن يبثّ أحزانه ومصائبه بواسطة الهمس لا الجهر؟ لذا جاءت نسبة الأصوات المجهورة أكثر من المهموسة وهذا حكم نسبي لا إطلاق فيه. فالحاصل أنّ صفة الجهر التي امتلكتها تلك الأصوات جعلتها متناسبة ومتلائمة مع الموضوع الذي تدور حوله ميميّة السّيّد جعفر الحلّي.

القافية

تعدُّ القافية من أهمّ جوانب الشعر العربي، وربّما تكون القوافي من أوّل ما يشغل الشاعر عند شروع النظم[٣٧]. قال ابن جنّي: «العناية في الشعر إنّما هي بالقوافي... وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أوّلها، والعناية به أمس والحشد عليها أوفى وأهمّ كذلك، كلّما تطرف الحرف في القافية ازدادوا عناية به ومحافظة على حكمه»[٣٨]. فـ«للقافية دور كبير في تحديد بنية البيت من حيث التركيب والإيقاع معًا»[٣٩]؛ فإنّها تنظم إيقاع الشعر، وتسهم في نقل رواسب الشعور، ولطائف المعاني ممّا لا تفلح مفردات البيت الشعري في أدائها[٤٠]. فقد اختلف الدارسون في تحديد القافية، عندهم آراء مختلفة. فرأي الخليل بن أحمد الفراهيدي في تحديد القافية هو المعتمد عليه في دراستنا، فهو يحدد القافية بأنّها من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذي قبل الساكن[٤١].

الروي

هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة وتنسب إليه. وقد أشار إليه الدكتور إبراهيم أنيس بقوله: «أقلّ ما يمكن أن يراعى تكراره، وما يجب أن يشترك في كلّ قوافي القصيدة، ذلك الصوت الذي تبنى عليه الأبيات.. فلا يكون الشعر مقفّى إلا بأن يشتمل على ذلك الصوت المكرّر في أواخر الأبيات»[٤٢]. لقد اختار السّيّد جعفر الحلّي «الميم» رويًّا لقصيدته، وهي من الحروف التي تقع رويًّا بكثرة[٤٣]، وتعدّ أحلى القوافي لسهولة مخرجها وكثرة أصولها في الكلام من غير إسراف[٤٤]. إنّ الشاعر أراد أن يفرغ شحنات الأسف والتحسّر على أهل البيت عليهم السلام، لذا استغلّ صفة الجهر في هذا الصوت (الميم) إلى جانب مخرجه الأنفي ليكون بمثابة إناء يفرغ فيه أحزانه وهمومه، فوجد الشاعر في هذا الصوت انسيابية وفّرت له النفس الأرحب لمعالجة هذه المعاني الحزينة.

القافيـة في هـذه القصيـدة مطلقة وهي مضمومـة الرويّ. فكثيرًا ما اسـتعمل الشـعراء الروي المضموم، «فشـعراء الفخامة يميلون إلى الضّمّ ليناسب تحدّياتهم وقوّة شـخصيّاتهم»[٤٥]؛ ولذا نجد أن السّـيّد جعفر الحلّي يميل إلى اسـتعمال هذا الروي في تصوير المشاهد القتاليّة وشجاعة قمر العشيرة أبي الفضل العبّاس عليه السلام .

الجهر والهمس في أصوات القافية

إحصائيات أصوات قوافي القصيدة

أ- الأصوات المهموسة للقوافي

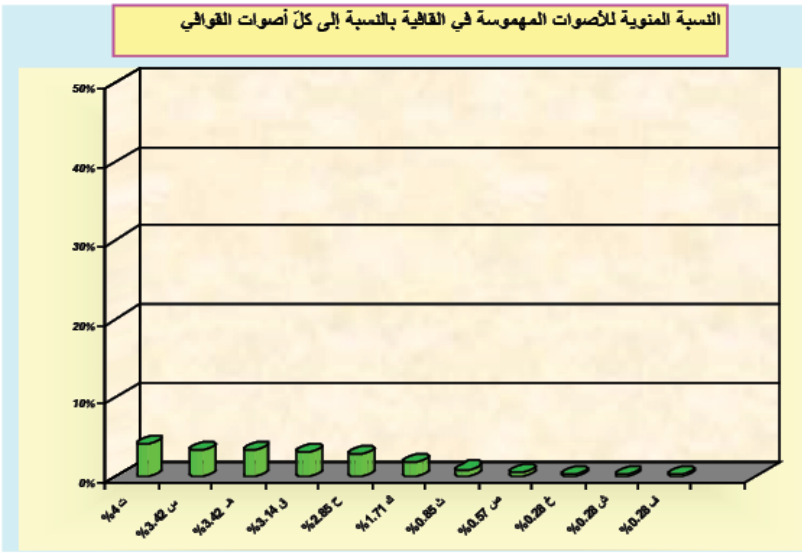

ب- الأصوات المجهورة

إنّ مجموع أصوات القافية ٣٥٠ صوتًا، ومن خلال إحصائية الأصوات المجهورة والمهموسة في القافية نلاحظ أن الأصوات المجهورة وُظّفت في قوافي القصيدة بنسبة: ٨٠٪ في حين أنَّ الأصوات المهموسة وظّفت بنسبة: ٢٠٪. كذلك نجد أن أكثر الأصوات المستعملة في القوافي هي من الأصوات المجهورة في اللغة العربية؛ وهي الميم والعين والدال والراء والياء، وتسمَّى هذه القوافي بالقوافي الذلل[٤٦]، وهذا يعني أن السيد جعفرًا الحلي ، في ميميّته الحسينيّة ، قد اجتنب القوافي الصعبة والتزم بالقوافي السهلة وهذا يكشف عن خبرة فنّيّة واسعة لديه فـ «أوّل ما يجدر بالشاعر اجتناب القوافي الصعبة الضيقة فإنّه يضطرّ معها إلى استعمال الكلام المنبوذ، والوحشي المهمل ويضيق في وجهه باب التصرُّف بالمعاني»[٤٧].

النتائج

قد خرج البحث بمجموعة من النتائج، أهمّها:

١. هناك صلة وثيقة بين الشعر والموسيقى، فتعدّ الموسيقى عنصرًا مهمًّا ورئيسًا في إعداد البنية الشعرية.

٢. إنّ رثاء الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الميامين سمة بارزة في شعر السّيّد جعفر الحلّي، فهو نابع من قلب مؤمن ولسان صادق وعقل واع ويصدر عن قلب مفجوع .

٣. إنّ وزن الكامل يتفوّق على الأوزان الأخرى في مراثي السيّد جعفر الحلّي، وهذه الغلبة تشير إلى وجود علاقة بين هذا البحر وبين الموضوع المستعمل فيه.

٤. البحر (الكامل) الذي تصدّر مراثي السيد جعفر استغلّ فيه الشاعر تفعيلاته المنتظمة والموحّدة في عملية التنفيس عن حاله المتألّمة وإشاعة إيقاع الحزن داخل

القصيدة، وتوفير النغم الموسيقائية التي تتلاءم مع حالته النفسية الحزينة.

٥. الشاعر كان موفّقًا في اختياره هذا البحر؛ لأنّ موضوع قصيدته هو الرثاء، والرثاء يتناسب مع البحور الممتدّة والطويلة مثل الكامل، لأنّ الامتداد والطول يتّفق مع شدّة الحزن.

٦. هناك أسباب تجعل الشاعر يتّجه نحو الأصوات المجهورة، ويبدو أن السبب الرئيس هو أنّ صفة الجهر التي امتلكتها تلك الأصوات جعلتها متناسبة ومتلائمة مع الموضوع الذي تدور حوله ميمية السّيّد جعفر الحلّي.

٧. إنّ الشاعر أراد أن يفرغ شحنات الأسف والتحسّر على أهل البيت عليهم السلام، لذا استغلّ صفة الجهر في هذا الصوت (الميم) إلى جانب مخرجه الأنفي ليكون بمثابة إناء يفرغ فيه أحزانه وهمومه، فوجد الشاعر في هذا الصوت انسيابية وفّرت له النفس الأرحب لمعالجة هذه المعاني الحزينة.

الهوامش

(١) فنّ المحاكاة، ص: ٩٠.

(٢) في النقد الأدبي، ص:٩٧.

(٣) عضوية الموسيقى في النصّ الشعري، ص:٢١.

(٤) وفي البيت إشارة إلى العالم الأديب الشيخ صالح بن العرندس أحد شعراء الحلة وأدبائها في القرن الثامن وغيره ممن سُمِّي بهذا الاسم من فطاحل العلم والأدب كالكواز والتميمي والقزويني. وفي عجز البيت يشير إلى العلامة الحلي صاحب المؤلفات المشهورة في شتّى العلوم.

(٥) إشارة إلى الشاعر الشهير صفي الدين الحلي.

(٦) إشارة إلى الشاعرين الشهيرين السيد حيدر آل السيد سليمان والسيد جعفر آل كمال الدين.

(٧) أعيان الشيعة ، ٤/ ٩٧.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) المصدر نفسه.

(١٠) هو الشيخ عباس ابن الشيخ علي ابن الشيخ الكبير، ولد في النجف الأشرف سنة ١٢٤٢هـ، فإنّه أحد مشاهير أسرة آل كاشف الغطاء ومن رجالها النابهين الذين انتهت إليهم الزعامة والإمامة. ومن آثاره شرح مبسوط سمّاه موارد الأنام في شرح شرايع الإسلام. توفّي في شهر ربيع الأوّل سنة ١٣١٥هـ ودفن مع آبائه في مقبرتهم. وأعقب ولدًا واحدًا وهو العلامة الشيخ هادي. قد أرّخ عام وفاته السيد جعفر الحلّي بقصيدته بأبيات كتبت على قبره:

سقى عفو الإله ضريح قدس
لأفضل مودع في خير مشهد
مقام تنـزّل الأمـلاك فيه
بـإذن الله والأنـوار تصعد
فقل طوبى لسـاكنه وأرخ
(بأعلى الخلد للعبّاس مرقد)

ينظر: ماضي النجف وحاضرها، المجلد الثالث، صص :١٦١-١٦٦.

(١١) إنّه كان من كبار العلماء الأفاضل وفقيهًا مشهورًا في النجف، فأجاز الكثير من العلماء منهم: العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء (المتوفّى سنة ١٣٤٤هـ)، والعلامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء (المتوفّى سنة ١٣٢٥هـ). فقد توفّي سنة ١٣٢٦هـ. ينظر: الذريعة، المجلد الأول، ص: ١٨٣، وأعيان الشيعة، المجلد الثالث، ص: ٢٨٨.

(١٢) أبو المهدي الشيخ محمد طه ابن الشيخ

مهدي بن محمدرضا صاحب العدة النجفية في شرح اللمعة الدمشقية ابن الشيخ محمد بن الحاج نجف التبريزي، عالم كبير وشاعر أديب. ولد سنة ١٢٤٤١هـ في النجف الأشرف، ونشأ بها.كان فقيهًا، أصوليًا، رجاليًا، محدّثًا، محققًا، حكيمًا. تتلمذ على الشيخ الأنصاري وكان من تلامذة السيد الحبّوبي. توفّي سنة ١٣٢٣هـ ودفن خلف مقبرة الأنصاري. وقد أرّخ تأريخ وفاته الشيخ علي البازي حيث يقول:

أثكل الدين لمّا
غاب عنه الزعيم
حجّة الله طه
والصراط القويم
قد رزينا فأرخ
(فيه رزءًا عظيم)

ينظر: علي في الكتاب والسنة والأدب، المجلد الخامس، صص: ٣٧-٣٨، ومستدركات أعيان الشيعة، المجلد السادس، ص:١٨٤.

(١٣) الشيخ محمد بن فضل بن عبدالرحمن الشربياني الفقيه الإمامي، ولد عام ١٨٣٢م، كان مقيمًا في تبريز ثمّ انتقل إلى النجف الأشرف. قد ألّف كتابًا في «أصول الفقه» وكتاب «المتاجر» في الفقه. توفّي رحمه الله سنة ١٩٠٤م. مدحه السيد جعفر الحلّي قائلًا:

محمّد الفاضل الميمون طالعه
قد خصّص الله فيه العلم والعملا
الله قيّضه للناس يرشدهم
حاشا الإله بأن يبقى الورى هملا

ينظر: أعلام الأدب في العراق الحديث، المجلد الثاني، ص: ٣١٥.

(١٤) مقدمة كتاب «وقاية الأذهان»، ص: ٢٧.

(١٥) أعيان الشيعة، المجلد السابع، ص:١٦.

(١٦) سحر بابل وسجع البلابل، ص: ٩٧.

(١٧) أعيان الشيعة، المجلد الرابع، ص: ٩٧.

(١٨) علي في الكتاب والسنة والأدب، المجلد الخامس، ص٢٤.

(١٩) معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الجزء الأول، صص: ١٧١-١٧٢.

(٢٠) أدب الطّفّ، المجلد الثامن، ص: ١٠٤-١٠٥.

(٢١) أعيان الشيعة، المجلد الثاني، ص: ١٣٠.

(٢٢) أدب الطّفّ، المجلد الثامن، ص: ١٠٣.

(٢٣) المصدر نفسه، المجلد الثامن، ص: ١٠٣.

(٢٤) الحسين في الفكر المسيحي، ص٦٩ .
(٢٥) أثر التّشيّع في الأدب العربي، ص: ٩٠.
(٢٦) البيان والتبيين، المجلد الأول، ص:٣٨٥.
(٢٧) عيار الشعر، ص:٥.
(٢٨) الصناعتين، ص:١٥٥.
(٢٩) منهم قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر ، ص:٦٤، والعمدة لابن رشيق القيرواني، ص:١٠٧.
(٣٠) التفسير النفسي للأدب، ص:٥٦.
(٣١) الرثاء في الجاهلية والإسلام، لحسين جمعة، ص٢٤٢.
(٣٢) المصدر نفسه: ص٢٥٦.
(٣٣) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، ١: ٦١.
(٣٤) بيان العروض نظم عبدالقاهر الجرجاني ويعقوب النيسابوري، ص:٧٩.
(٣٥) البناء الفنّي للصورة الأدبية في الشعر، ص: ٢٤٣.
(٣٦) أسس علم اللغة، لـ(باي ماريو)، ص:٧٨. والأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص: ٢٢.
(٣٧) الشعرية وقانون الشعر ، ص:٩٤.
(٣٨) الخصائص، ١:٨٤.
(٣٩) البناء العروضي للقصيدة العربية، ص: ١٦٥.
(٤٠) «الشعرية وقانون الشعر» لحسن محمّد نور الدين، دارالعلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص:٩٥.
(٤١) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده» لابن رشيق القيرواني، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، ١:١٥١.
(٤٢) «موسيقى الشعر»، لإبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م، ص: ٢٤٧.
(٤٣) «الشعرية وقانون الشعر» لحسن محمّد نور الدين، دارالعلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص:١٠٦.
(٤٤) «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها»، لعبد الله الطيب، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م، ١:٦٠.
(٤٥) المصدر نفسه١:٧١.
(٤٦) المصدر نفسه ١:٥٨.
(٤٧) مقدمة إلياذة هوميروس، بقلم: سليمان البستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، د.ت، ١:٩٦.

المصادر والمراجع

١. أثر التّشيّع في الأدب العربي، محمّد سيد كيلاني، الطبعة الثانية، دار العرب للبستاني، القاهرة، ١٩٩٥م.

٢. أدب الطّفّ، جواد شبّر، دارالمرتضى، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٣. أسس علم اللغة، باي ماريو، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٧م.

٤. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٩م.

٥. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق حسن الأمين، نشر دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٦. البناء العروضي للقصيدة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دارالشروق، ط١، القاهرة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٧. البناء الفنّي للصورة الأدبية في الشعر، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦م.

٨. بيان العروض، نظم عبدالقاهر الجرجاني ويعقوب النيسابوري، صنعه الشيخ حسين العطار، انتشارات سعيد بن جبير، دت.

٩. البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دارالجيل، بيروت، دت.

١٠. التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، ط٤، مكتبة غريب، مصر، دت.

١١. الحسين في الفكر المسيحي، أنطوان بارا، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، ط٥، بيروت، ٢٠٠٩م.

١٢. الخصائص، ابن جنّي، تحقيق: محمّد علي النجّار، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.

١٣. الرثاء في الجاهلية والإسلام، حسين جمعة، مطبعة دارالعلم، ط١، دمشق، ١٩٩١م.

١٤. سحر بابل وسجع البلابل، السيد جعفر الحلي، تحقيق الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، مطبعة أمير، ط١، قم.

١٥. الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، محمد النويهي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، دت.

١٦. الشعرية وقانون الشعر، حسن محمّد نور الدين، دارالعلوم العربية للطباعة والنشر، بيروت.

١٧. الصناعتين، أبي هلال العسكري، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٨١م.

١٨. عضوية الموسيقى في النصّ الشعري، عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، ط١، عمّان، ١٩٨٥م.
١٩. علي في الكتاب والسنة والأدب، الحاج حسين الشاكري، مراجعة فرات الأسدي، مطبعة ستارة، ط١، ١٤١٨هـ.
٢٠. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق محمّد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، ط١، مصر، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
٢١. عيار الشعر، ابن طباطبا العلوي، تحقيق: عبدالعزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة، دت.
٢٢. فنّ المحاكاة، سمير قلماوي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٣هـ-١٩٥٣م.
٢٣. في النقد الأدبي، شوقي ضيف، دارالمعارف، ط٧، مصر، ١٩٦٢م.
٢٤. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، عبد الله الطيب، دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٩٧٠م.
٢٥. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها»، عبد الله الطيب المجذوب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة.
٢٦. معارف الرجال في تراجم العلماء والأدباء، الشيخ محمد حرز الدين، تحقيق محمد حسين حرزالدين، مكتبة آية العظمى المرعشي النجفي، مطبعة الولاية، قم، ١٤٠٥هـ.
٢٧. مقدمة إلياذة هوميروس، سليمان البستاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢٨. موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٢م.
٢٩. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت.
٣٠. وقاية الأذهان، الشيخ أبي محمد رضا النجفي، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤١٣هـ.